

الحبيب بورقيبة و الثورة التحريرية الجزائرية 1954م-1962م

المواقف السياسية والمساعي الدبلوماسية

Habib Bourguiba and the Algerian liberation revolution
1954-1962

Political positions and diplomatic endeavors

الدكتور : رياض بودلاعة

جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة

r.boudelaa@univ-skikda.dz

riadboudelaa@yahoo.com

تاريخ القبول: 2023/10/31

تاريخ الاستلام: 2021/03/10

ملخص:

شكل الدعم السياسي والدبلوماسي لزعماء التحرر في المغرب العربي أهمية بالغة بالنسبة للثورة التحريرية الجزائرية 1954-1962 م ، ومن بينهم الزعيم التونسي الحبيب بورقيبة الذي كان من أبرز المساهمين في التعريف بعدالة القضية الجزائرية وحق الشعب الجزائري في التحرر والاستقلال ، وكانت له مواقف ثابتة في دعم الكفاح التحريري الذي قادتته جبهة التحرير الوطني . ويهدف هذا المقال إلى إبراز الدور الذي لعبه الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة على المستوى السياسي والدبلوماسي لصالح القضية الجزائرية ، سواء تجاه السلطات الاستعمارية الفرنسية عبر دفعها للتفاوض مع الثوار على أساس الاعتراف بالقومية الجزائرية أو تجاه دول العالم الحر والأمم المتحدة لتمكين الشعب الجزائري من حق تقرير المصير .

الكلمات المفتاحية

الثورة الجزائرية ، الحبيب بورقيبة ، الدبلوماسية ، الاستعمار ، التحرر ، المفاوضات.

SUMMARY

The political and diplomatic support of the liberation leaders in the Maghreb was of great importance for the Algerian liberation revolution of 1954-1962, among them the Tunisian leader Habib Bourguiba, who was one of the most prominent contributors to defining the justice of the Algerian cause and the right of the Algerian people to liberation and independence .and he had firm positions in support of the liberation struggle led by the National Liberation Front. This article aims to highlight the role played by Tunisian President Habib Bourguiba at the political and diplomatic level in favor of the Algerian cause, whether towards the French colonial authorities by pushing them to negotiate with the revolutionaries on the basis of recognition of Algerian nationalism or towards the countries of the free world and the United Nations to enable the Algerian people to have the right to self-determination.

Keywords : the Algerian revolution , Habib Bourguiba, diplomacy, colonialism, , liberation, negotiations.

المؤلف المرسل: رياض بودلاعة riadboudelaa@yahoo.com

مقدمة

نالت الثورة التحريرية الجزائرية في كفاحها المبرر ضد النظام الاستعماري الفرنسي التأييد والدعم من الدول العربية والإسلامية بالإضافة إلى الدول الصديقة المؤيدة للتحرر والاستقلال في العالم ، فقد عمل أغلب قادة الدول العربية والإسلامية على تقديم الدعم السياسي والدبلوماسي للثورة بالإضافة إلى المساعدات المادية والعسكرية . ومن بين أبرز هؤلاء القادة الذين عملوا على مساعدة الثورة الجزائرية الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة . وفي هذا المقال سوف نحاول الكشف عن طبيعة العلاقة التي كانت بين الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة- باعتباره أحد أقطاب الحركة التحررية المغاربية - والثورة التحريرية الجزائرية . و ذلك من خلال مواقفه من الثورة، وعلاقته بقادتها، وكيف كان يتصور طريقة حل القضية الجزائرية ؟ وما هي الجهود السياسية والدبلوماسية التي بذلها لتحقيق ذلك؟ و هل استطاع أن يقنع السلطات الفرنسية بالتفاوض مع قادة الثورة ؟ وأن يدفع بالقوى الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية- التي كان حليفا لها- أن تسهم في حل القضية الجزائرية؟

وسوف أتناول الموضوع من خلال الخطة الآتية:

أولا : مولده و مسيرته النضالية

ثانيا: موقفه من استمرار الوجود الاستعماري الفرنسي في شمال إفريقيا

ثالثا: رؤيته لحل القضية الجزائرية

رابعا: طبيعة العلاقة بين الرئيس بورقيبة وقيادة الثورة التحريرية

خامسا : المبادرات السياسية والدبلوماسية للرئيس بورقيبة لحل القضية الجزائرية خاتمة .

أهداف البحث : نهدف من خلال هذا الدراسة إلى تحقيق الأهداف الآتية :

- التعريف بالمسار النضالي للحبيب بورقيبة وإبراز بصماته المميزة في المسار التحريري لبلاد المغرب العربي.
 - توضيح علاقته بالثورة الجزائرية وحقيقة مواقفه منها.
 - إبراز إسهاماته المختلفة لحل القضية الجزائرية عبر الدعوة إلى الحلول السلمية والمفاوضات، والتعريف بالقضية الجزائرية في المحافل الدولية.
- أولا : مولده ومسيرته النضالية

ولد الحبيب بورقيبة عام 1903م بالمونيسيير ، و تلقى تعليمه الثانوي بتونس و بعد حصوله على البكالوريا توجه إلى باريس سنة 1924م والتحق بكلية الحقوق والعلوم السياسية ، وما أن تحصل على إجازة الحقوق حتى عاد إلى بلاده ليشغل بالمحاماة¹، وبالموازاة مع عمله المهني انخرط بورقيبة منذ 1929م في النضال الوطني عبر الصحف والجرائد التي استغلها لتوعية الجماهير التونسية ودفعها للتخلص من الاستعمار فكتب في عدة جرائد منها " صوت التونسي " و " العمل التونسي " مبرزا خطر نظام الحماية الفرنسية على مستقبل تونس²، كما استغل بورقيبة الفضاء السياسي من خلال انخراطه عام 1933م في الحزب الحر الدستوري إلى أن تولى أمانته العامة إثر مؤتمر قصر هلال في مارس 1934م³، والذي حسمت خلاله قضية طبيعة الكفاح حيث صرح بورقيبة بأنه لا يحبذ العنف⁴. ورغم ذلك فقد تعرض إلى الاعتقال برفقة زملائه من قادة النضال الوطني وعاش مرارة السجون الفرنسية لعدة سنوات⁵، غير أنه بقي حليفا للديمقراطيات الغربية ورفض الاصطفاف مع الألمان والايطاليين⁶. وعند اقتراب نهاية الحرب العالمية الثانية سافر إلى القاهرة و انضم إلى لجنة تحرير المغرب العربي ، ونشط هناك لصالح القضية المغاربية وفق التوجه القومي العربي، ولكن بعد عودته إلى تونس في سبتمبر 1948م غير منهجه وصار يعمل لصالح القضية التونسية⁷، ولتحريك هذه القضية و بعث الحوار التونسي-الفرنسي سافر بورقيبة إلى باريس في 12 أفريل 1950م وعرض

خطة إصلاحية، ثم دخل معترك الحوار الثنائي على أساس الحكم الذاتي مع السلطات الفرنسية⁸، وبعد الانتفاضة المسلحة لعام 1952م، دخل في مفاوضات مع رئيس الوزراء الفرنسي "منديس فرانس" (Mendès France) نالت على إثرها تونس استقلالها الداخلي في 3 جوان 1955م، ثم الاستقلال التام في 20 مارس 1956م، وشكل بورقيبة في أبريل 1956م أول حكومة تونسية بعد الاستقلال، ثم ألغي النظام الملكي في 25 جويلية 1957م، وأعلن عن قيام الجمهورية التونسية برئاسة بورقيبة، الذي استمر في الحكم إلى غاية عزله في 7 نوفمبر 1987م⁹.

ثانيا: موقفه من استمرار الوجود الاستعماري الفرنسي في شمال إفريقيا
كرس الرئيس الحبيب بورقيبة حياته للنضال والكفاح السياسي السلمي ضد الوجود الاستعماري الفرنسي في تونس، فبالإضافة إلى الأوضاع الصعبة التي كان يعيشها الشعب التونسي في ظل هذا النظام الاستعماري، والتي كانت دافعا أساسيا في عدائه للاستعمار، فقد كان متأثرا كذلك بالقيم الليبرالية الغربية التي تقوم أساسا على الحرية والمساواة و تتعارض مع الاستغلال والاستعباد، وهو ما رسخ موقفه المعادي للظاهرة الاستعمارية لشمال إفريقيا، التي دخل معها في حالة صدام حيث اتهم بورقيبة فرنسا بإفساد القيم الليبرالية الغربية، و حملها مسؤولية ابتعاد القارة الإفريقية والعالم العربي عن العالم الحر والتشكيك في قيمه، نتيجة لاستمرار الظاهرة الاستعمارية الفرنسية¹⁰. ولم يتردد بورقيبة في توجيه اللوم إلى القوى الليبرالية التي ما انفكت تتضامن مع بعضها على حساب قضايا الشعوب حيث لا تتردد في معارضة القرارات الخاصة بإدانة الممارسات الاستعمارية وتقف موقف اللامبالاة تجاه قضايا التحرر من الاستعمار ومنها قضية الشعب الجزائري المكافح من أجل الحرية¹¹.

أما عن موقفه من الكفاح التحرري الذي يخوضه الشعب الجزائري تحت قيادة جبهة التحرير الوطني فقد أكد من خلال التصريحات المختلفة التي أدلى

بها سنة 1956 ، على حق الشعب الجزائري في تقرير المصير واسترجاع سيادته المغتصبة، وعلى ضرورة أن تقوم السلطات الاستعمارية بفتح مفاوضات مع الثوار في الجزائر، فقد جاء في تصريح أدلى به لجريدة "التايمز" اللندنية: "يجب على فرنسا أن تعترف بالقومية الجزائرية وأن تتفاوض مع رجال الثورة وأن تقيم في الجزائر دولة مستقلة وأن المليون فرنسي الموجودين بالجزائر يمكنهم إذا قبلوا، أن يصبحوا مواطنين جزائريين، أما إذا كانت نعتهم وشعورهم بالنخوة العنصرية تمنعهم من ذلك فيجب أن يعودوا إلى بلادهم التي هي في حاجة إليهم، وإن هؤلاء الفرنسيين قد ظلوا أكثر من قرن يعاملون الجزائريين معاملة المنحطين. وإنهم اليوم يحصدون ما زرعوا"¹². وعليه فإن موقف الحبيب بورقيبة المدين للنظام الاستعماري ، كان يدفعه إلى مواصلة النضال ضد هذا الوجود الاستعماري الفرنسي في شمال إفريقيا خاصة وأن القوات الفرنسية تستمر في التواجد بتونس والاحتلال الفرنسي للجزائر لا يزال قائما، وهو ما يجعل استقلال تونس مهدد بالخطر في أي لحظة.

ثالثا: رؤيته لحل القضية الجزائرية

لقد طالب الحبيب بورقيبة قبل تسلمه الحكم في تونس ، بحل القضية الجزائرية حلا سلميا عادلا يمكن الجزائر من حقها في الكرامة والحرية والاستقلال، وعبر عن اعتقاده بأنه لا يمكن لفرنسا أن تنتصر على جيش التحرير الجزائري، كما لا يمكن لهذا أن ينتصر عليها، وإنما الممكن هو أن تستمر الحرب إلى ما لا نهاية¹³. وللحيلولة دون الوقوع في ذلك المأزق وما يترتب عليه من مشاكل دبلوماسية ومصادمات مع فرنسا و تعطيل لسير دول شمال إفريقيا الفتية، لم يترك الحبيب بورقيبة فرصة تسنح إلا ودعا إلى الحل السلمي المنشود،¹⁴. ومن بين تلك التصريحات التي كان يدلي بها الحبيب بورقيبة للتعبير عن دعوته إلى حل سلمي عن طريق المفاوضات للقضية الجزائرية والاستفادة من التجربة التونسية ، تصريحه بالقيروان يوم 30 أكتوبر 1955، الذي قال

فيه: "إن إخواننا الجزائريين يعينهم بلا شك عندما نواصل تجربتنا بصدق وإخلاص فنعمل على تعزيز موقف أنصار السلم في فرنسا ويعينهم على التغلب على غلاة الاستعمار إلى أن يفرضوا على الحكومة الفرنسية حلا وسطا للقضية الجزائرية مثلما تم بتونس وتنتهي الحرب في تلك الديار" ¹⁵. و أجاب في ندوة صحفية عقدها يوم الفاتح ماي 1956م بمكتبه بسراي المملكة بعد توليه رئاسة الحكومة عن سؤال صحفي حول تأكيده في كل مرة عن تضامن الحكومة والشعب التونسي مع الجزائر المكافحة. قائلا ¹⁶: "إن من واجب أصدقاء فرنسا أن ينهوها ويطالبوها بوضع حد لهذه الحرب الطاحنة والبحث عن الحلول في تجربة تونس والمغرب اللتين سويت مشكلتهما واعترف لهما العالم بالفوز"، ثم أضاف أنه يأمل أن ترجع فرنسا إلى رشدها كما فعلت مع تونس والمغرب باعترافها بحق الشعب الجزائري في تقرير المصير وهو ما يعطي ضمانا أكثر من ضمان القوة واستمرار الحرب، و أوضح أن الحالة في تونس والمغرب لا تستقر مادامت الحرب قائمة في الجزائر ¹⁷. وبذلك يمكننا التأكيد أن تصور الرئيس الحبيب بورقيبة لحل القضية الجزائرية كان يقوم على دفع طرفي النزاع نحو حل تفاوضي للقضية الجزائرية يكون مستلهما من النموذج التونسي والمغربي.

رابعا: طبيعة العلاقة بين الرئيس بورقيبة وقيادة الثورة التحريرية

اضطر الحبيب بورقيبة بعد استلامه الحكم في تونس خلال شهر أفريل 1956م، إلى التعامل مع نواتين لقيادة الثورة التحريرية في الجزائر، الأولى هي النواة القيادية في الداخل والتي أشرف عليها عبان رمضان (جماعة الصومام لاحقا)، و النواة الثانية وتتشكل من عناصر الوفد الخارجي وعلى رأسهم أحمد بن بلة ¹⁸، فكان عليه التعامل مع هذا الوضع الخاص المتميز بازدواجية المواقف، فبينما كان أحمد بن بلة مؤيدا لفكرة وحدة الكفاح المغربي ومتحالفا مع صالح بن يوسف ¹⁹ والمصريين، كانت النواة القيادية في الداخل قد بدأت تميل إلى الخيار القطري والتعويل على التنسيق والتضامن المغربي، والتأكيد

على ارتباط استقلال تونس والمغرب بحل المشكلة الجزائرية ، والعمل من أجل وحدة الأقطار المغاربية²⁰. أما الحبيب بورقيبة فقد كان في نظر أغلب قادة الثورة الجزائرية خلال السنوات الأولى (1954-1956م) مشبوها بما أنه قبل اتفاقيات الاستقلال الداخلي (3 جوان 1955) وقسم وحدة جبهة المقاومة المغاربية وخان ما التزم به حزبه في لجنة تحرير المغرب العربي بالقاهرة 1948م من إلزامية مواصلة الكفاح المسلح حتى تحرير كامل المغرب، لذا كانت أغلب القيادة الجزائرية تراهن على غريم بورقيبة والزعيم الدستوري الآخر صالح بن يوسف رافع راية وحدة النضال والتحرير الشامل²¹. كما أن بورقيبة بدوره كان خلال هذه السنوات الأولى للثورة " لا يخفي احتقاره لتلك العقلية العسكرية التي سيطرت على العقل السياسي للثورة الجزائرية " ، خاصة و أن برنامج جبهة التحرير الذي يضع استقلال الجزائر كمرحلة وحيدة وكهدف والمقاومة المسلحة كوسيلة فضلى للتحرر، يناقض سياسة بورقيبة التي تقوم على المرحلية والقبول بالحلول الوسطى والتفاهم مع الخصم " لضمان حظوظ المستقبل " وفي حالة الجزائر وإن كان بورقيبة يقر بحق الجزائريين في الاستقلال فإنه يرى أن مصلحة وطنهم وموازين القوى القائمة تملي عليهم القبول بمرحلة انتقالية وليس انفصالا ناجزا وكليا عن فرنسا²². وللتأكد من مدى صدق وإخلاص بورقيبة في دعمه للثورة الجزائرية وحجم تمثيله مقارنة بصالح بن يوسف قرر عبان رمضان إرسال مبعوث إلى تونس لاستطلاع الوضع ميدانيا واختبار موقف بورقيبة بتقديم مجموعة من الطلبات وهو ما تحدث عنه محمد لبجاوي بقوله²³: " اتصلت ببورقيبة الذي قد شكل الوزارة بعد تعيينه رئيسا للحكومة ، فاستقبلني بحرارة ومن أجل الحصول منه على تأييد علني للثورة الجزائرية قدمت له في عشرين نقطة تقريبا عدد من الطلبات الواضحة التي كان يمكن أن يشكل الكثير منها في هذه المرحلة الحاسمة من نشاطه السياسي مشكلات حقيقية...استجاب الرئيس التونسي لكل المطالب

بدون استثناء وبتلقائية وصدق مؤثرين" ، وبذلك تأكدت قيادة الداخل من صدق نوايا بورقيبة وتضامنه الفعلي مع الثورة ، وتعزز مكانته في تونس بين الجماهير. وبعد تبليغ هذا الموقف لعناصر الوفد الخارجي رفض محمد خيضر فكرة فض العلاقة مع خصوم بورقيبة وأكد ضرورة العمل مع صالح بن يوسف لما له من أهمية في دفع بورقيبة للتضامن أكثر مع الثورة الجزائرية²⁴ ، وبالنظر إلى هذا الخلاف بين الداخل والخارج لم يتم تجسيد علاقات تعاون حقيقية مع النظام التونسي إلا بعد حادثة اختطاف طائرة الزعماء الخمسة في 22 أكتوبر 1956م²⁵.

خامسا : المبادرات السياسية والدبلوماسية للرئيس بورقيبة لحل القضية الجزائرية.

توجهت المبادرات السياسية والدبلوماسية للحبيب بورقيبة أولا إلى السلطات الفرنسية على أمل إقناعها بحتمية الحل السلمي للقضية الجزائرية وضرورة الاعتراف باستقلال الجزائر ، مما سيعزز الاستقرار في المغرب العربي و يوثق علاقات التعاون مع فرنسا ، ثم انتقل إلى محاولة تجسيد الحل الفيدرالي في شمال إفريقيا عبر التعاون مع ملك المغرب. غير أن تصلب الموقف الفرنسي دفعه إلى التوجه نحو الأمم المتحدة ودول العالم الحر على أمل أن تضغط هذه الأطراف على فرنسا لدفعها للاعتراف بحق الشعب الجزائري في الاستقلال ولو على مراحل وعبر مفاوضات تنتهي إلى باتفاق بين الطرفين ينهي الحرب ، مستغلا في ذلك ظروف الحرب الباردة و تأييد الولايات المتحدة للدول العربية المناهضة للشيوعية وعلى رأسها تونس والمغرب ، مؤكدا أن تحقيق ذلك سيبعد الثوار الجزائريين عن الاتجاه الناصري والمد الاشتراكي . ولم تتجدد آمال الحبيب بورقيبة في السلطات الفرنسية إلا بعد وصول الجنرال ديغول إلى الحكم بفرنسا في جوان 1958، الذي عرف كيف يحي أمل بورقيبة في حل مشكل الجزائر بمنهجه السياسي المرحلي وخاصة بعد إعلانه عن حق تقرير المصير في 16 سبتمبر 1959م ، وهي المبادرات التي نوجزها فيما يأتي :

5-1 دعوة المسؤولين الفرنسيين للتفاوض مع قادة الثورة

توجهت مساعي الحبيب بورقيبة في سنته الأولى لتسلم السلطة في تونس بعد الاستقلال التام إلى المسؤولين السياسيين الفرنسيين ، فخلال زيارته إلى فرنسا تحادث مع رئيس الجمهورية الفرنسية "رينيه كوتي" (René Coty) يوم 6 جويلية 1956 حول القضية الجزائرية وانعكاساتها وأكد بورقيبة على الحل السلمي والشروع في المفاوضات مع المجاهدين الجزائريين. وفي أوائل شهر سبتمبر 1956 قام بورقيبة بمساع دبلوماسية لدى الحكومة الفرنسية ، حيث تحادث مع رئيس الحكومة الفرنسية "غي موللي" (Guy Mollet) وأبدى بورقيبة خيبة أمله العميقة أمام سياسته في الجزائر وألح على ضرورة وضع حد للمجازر التي يذهب ضحيتها الأبرياء وضرورة الشروع في مفاوضات مع الممثلين الرسميين للمقاومة والاعتراف برغبات الشعب الجزائري المشروعة²⁶

5-2 دوره في ندوة تونس أكتوبر 1956

على الرغم من غموض سياسة رئيس الحكومة "غي موللي" وعدم جديته في حل القضية الجزائرية إلا أنه لمح للسلطات التونسية والمغربية إثر زيارتها إلى باريس) زيارة بورقيبة و زيارة الأمير الحسن في سبتمبر 1956) إلى إمكانية الوصول إلى تسوية سلمية في الجزائر شبيهة لتجربة بلديهما²⁷، وأمام هذه الرغبة الفرنسية في وضع حد للحرب في الجزائر التي تزعمها "غي موللي" وألان سافاري "وزير الشؤون التونسية والمغربية في الحكومة ، سارع ملك المغرب إلى دعوة قيادة الثورة إلى الاجتماع لبحث الموضوع في الرباط ، على أن ينتقل الوفد لاحقا إلى تونس لحضور الندوة التي تجمع الحكومتين التونسية والمغربية وقيادة جبهة التحرير ، وكانت هذه الندوة تهدف إلى تجسيد الفيدرالية في شمال إفريقيا وإنشاء المغرب العربي الكبير ، وفي 22 أكتوبر 1956 قامت القوات الفرنسية في الجزائر بعملية قرصنة جوية تم على إثرها اعتراض طائرة الزعماء الخمسة المتوجهين من المغرب إلى تونس واعتقلتهم في مطار الجزائر²⁸، وهو ما أثار استنكار جبهة التحرير الوطني وضاعف

من تضامن تونس والمغرب مع القضية الجزائرية فقد قامت احتجاجات شعبية عارمة في تونس ، وقامت الحكومة التونسية باستدعاء سفيرها بباريس وطالبت بإطلاق سراح المعتقلين²⁹، كما استنكر ملك المغرب عملية الاختطاف واعتبرها اعتداء على شرفه باعتبار هؤلاء الزعماء كانوا ضيوف عنده ، وقدمت الحكومة المغربية احتجاجا لسفير فرنسا ثم قطعت العلاقات مع باريس لمدة تسعة أشهر³⁰ . ورغم هذه الجريمة التي قام بها الجيش الفرنسي في الجزائر ، فقد انعقدت الندوة وتمخض عنها صدور بلاغ مشترك تونسي مغربي عبر من خلاله ممثلو الحكومتين عن تضامنهم التام مع الشعب الجزائري من أجل نيل حريته ، كما اتفقوا على البقاء في حالة اتصال مستمر لتبادل الرأي في كل ما من شأنه أن يحقق وحدة أقطار المغرب العربي³¹. و الملاحظ هو أن السلطات الفرنسية بقيادة " قي مولي " قد ضيعت فرصة كبيرة لحل القضية الجزائرية في حال ما قامت بإطلاق سراح هؤلاء القادة وتفاوضت معهم، كما كان عليه الحال مع السلطان محمد الخامس والحبيب بورقيبة، حتى أن بورقيبة صرح ساخرا³²: " لا يجب أن ننسى أن الفرنسيين تعودوا على وضع مفاوضاتهم في السجن قبل التفاوض معهم ". ولكن " قي مولي " لم يكن يملك لا الإرادة ولا القدرة على القيام بذلك ، بل الأكثر من هذا فقد تورط في الهجوم على قناة السويس في أوائل نوفمبر 1956، وبذلك ضاعت فرصة الحل التفاوضي³³. و لم يكتف بورقيبة للتهديدات الفرنسية الرامية لقطع المساعدات عن تونس لوقوفها مع المقاومة الجزائرية ، حيث جاء في فقرة من خطاب له يوم 4 أفريل 1957م قوله³⁴: " ليكن الأمر واضحا أننا متضامنون على الدوام مع الشعب الجزائري ولا نقبل خذلانه في صراعه هذا من أجل الحياة أو الموت لا من أجل قرض و لا من أجل مصلحة أخرى ... لقد صرحت ودون التباس أن لا شيء يجعلنا نتخلى عن إخواننا الجزائريين ". و على إثر هذا الموقف الثابت من الرئيس بورقيبة نفذت السلطات الفرنسية تهديداتها فأعلن " قي مولي " يوم 22 ماي 1957 " إلغاء المساعدات المالية لتونس بسبب موقفها العدائي تجاه فرنسا

فيما يخص القضية الجزائرية " ³⁵ . وبذلك ساءت العلاقات التونسية المغربية مع السلطات الفرنسية وعندها توجهت مساعيهما نحو الأمم المتحدة ودول العالم الحر .

5-3 مساعيه الدبلوماسية في الأمم المتحدة

منذ انضمام تونس إلى الأمم المتحدة في 12 نوفمبر 1956، والقضية الجزائرية تحظى بدعم واضح من القيادة التونسية بزعماء الرئيس الحبيب بورقيبة في هذا المنبر الدولي فقد لعب المنجي سليم ممثل تونس في الهيئة الأممية وأحد أقطاب الدبلوماسية التونسية دورا بارزا في الدفاع عن القضية الجزائرية أثناء عرضها في الدورة 11 للجمعية العامة سنة 1956 ، وذلك من خلال تحسيس دول أمريكا اللاتينية والدول الاسكندنافية والولايات المتحدة الأمريكية بعدالة القضية الجزائرية وشرعية مطالب ثورتها ، كما تواصلت المساعي التونسية لإبراز عدالة القضية الجزائرية عبر اتصالات الوفد التونسي بالدول الأعضاء في المنظمة والمجموعات الدبلوماسية في صلبها، وعبر الحرص على تقديم مقترح قرارات حول القضية الجزائرية ³⁶ . وفي هذا الإطار قدم الحبيب بورقيبة خلال جلسات الجمعية العامة لهذه الدورة الحادية عشرة التي امتدت من 12 نوفمبر 1956 إلى 8 مارس 1957 وعرضت فيها القضية الجزائرية تحت النقطة (62) من جدول أعمالها مقترحا لإنهاء الحرب قائما على الاعتراف بحق الشعب الجزائري في الاستقلال على مراحل ³⁷ ، حيث جاء في خطابه : " تشهد أمم العالم الحر منذ ما يزيد عن السنتين وهي غير عابئة و لا مكترثة مجزرة تبعد كل يوم شباب الجزائر وشباب فرنسا... لذا نؤكد أن تساعد هيئة الأمم فرنسا على تجديد صيغة علاقاتها بالشعب الجزائري للوصول إلى اعتراف بحقه الطبيعي في الاستقلال ، والحل الذي ننشده يراعي مقتضيات الانتقال ويكون على مراحل ، يمكن أن تؤدي المرحلة الأولى إلى وقف القتال ، ثم تألف الجمعية العامة لجنة صلح و وساطة تعمل على الظفر بشروط وقف

النار باتفاق بين الجانبين كما تسعى إلى أن تؤدي المفاوضات لإيجاد سلم دائم وتعاون حر بين الشعبين، و عندما تصل إلى خطوط رئيسية لحل وسط ، يعلن عن وقف إطلاق النار تحت ضمان الأمم المتحدة وتوفد قوات البوليس الدولي لتطبيق الاتفاق " ³⁸. كما واصل المنجي سليم جهوده الدبلوماسية خلال الدورة الثانية عشرة (سبتمبر إلى ديسمبر 1957) في التعريف بالقضية الجزائرية و اعتبارها قضية دولية ، وضرورة تدخل الأمم المتحدة لفرض تسوية عادلة وسلمية عن طريق التفاوض بين الحكومة الفرنسية و جبهة التحرير الوطني الجزائرية طبقا لمبادئ الأمم المتحدة، لتستمر جهود الدبلوماسية التونسية بتوجيه وإشراف من الرئيس الحبيب بورقيبة في دعم القضية الجزائرية خلال مختلف الدورات التي عقدتها الجمعية العامة للأمم المتحدة حتى استقلال الجزائر وهو ما جعل قيادة الثورة توجه العديد من رسائل الشكر للرئيس الحبيب بورقيبة ³⁹.

4-5 دعوته الولايات المتحدة إلى التدخل لحل القضية الجزائرية

بعد توتر العلاقة بين بورقيبة و فرنسا إثر القرصنة الجوية لطائرة الزعماء الخمسة في 22 أكتوبر 1956، وجه بورقيبة أنظاره نحو الولايات المتحدة الأمريكية لكسب دعمها الاقتصادي والعسكري و إيجاد حل للقضية الجزائرية التي تؤثر على الوضع العام في تونس ، فزار البيت الأبيض في 21 نوفمبر 1956 والتقى الرئيس " ايزنهاور " حيث دار بينهما نقاش شكر على إثره بورقيبة الرئيس الأمريكي على المساعد الغذائية التي قدمت لتونس ، كما تبادلوا الحديث مطولا عن نظريات وتاريخ الاستعمار ، وبين بورقيبة أن فرنسا على بعد قرن إلى الوراء في طريقة إبقاء سيطرتها على المستعمرات ، فيما بريطانيا نجحت في معالجة الأمر عبر إعطاء مستعمراتها الاستقلال والتعاون في إطار الكومنولث ، وقال بورقيبة أن شيئا شبيها بذلك سيكون ممكنا في شمال إفريقيا وأن على فرنسا المبادرة بمشاريع تؤدي إلى استقلال الجزائر ، وبعد أن سأله " ايزنهاور "

عن رأيه في حل القضية الجزائرية ، أجابه بورقيبة دون تردد : " يجب على فرنسا أن توافق فوراً من حيث المبدأ على منح الجزائر استقلالها ، حيث يمكن تنفيذه على مراحل " ⁴⁰ . كما صرح حين عودته إلى بلاده قائلاً : " لقد اتفقت مع الرئيس " ايزنهاور " على أن يتوسط لحل القضية الجزائرية " ⁴¹ . وبعد إطلاق الولايات المتحدة الأمريكية لمبدأ " ايزنهاور " في جانفي 1957 ، والذي تضمن إستراتيجية جديدة خاصة بمنطقة الشرق الأوسط لمواجهة المد الشيوعي سارعت تونس إلى الترحيب بهذا المبدأ و أعلن بورقيبة عن أمله أن يشمل دول شمال إفريقيا بهدف الاستفادة من المساعدات الاقتصادية الأمريكية ، وهو ما دفع نائب الرئيس الأمريكي " ريتشارد نيكسون " لزيارة تونس في مارس 1957 ، حيث التقى الحبيب بورقيبة ، وتعهد هذا الأخير لنائب الرئيس الأمريكي أن بلاده لن تقبل الشيوعية ، وأن تونس أخذت على عاتقها التصدي للعقيدة الشيوعية في شمال إفريقيا . كما أخذت القضية الجزائرية القسط الأكبر من المحادثات ، فقد أوضح بورقيبة رغبته بإيجاد حل لها داعياً حكومة واشنطن إلى استثمار علاقاتها مع فرنسا لإيجاد الحل لأن أي فشل في ذلك سيعيد دليلاً على فشل الاستقرار في الشرق الأوسط ومن ثم يعد مدخلاً مناسباً لإحلال النفوذ السوفيياتي في المنطقة ، ويضعف موقف المعتدلين من القادة الجزائريين المناهضين للشيوعية ، ويشجع العناصر "المتطرفة" على التوجه نحو الاتحاد السوفيياتي من أجل الحصول على المساعدات لتحقيق الاستقلال الفعلي . و برغم هذا الطلب الواضح لحل القضية الجزائرية و تكرار ذلك للمبعوث الأمريكي " جيمس ريتشارد " الذي زار تونس في ماي 1957 ، حيث طالب بورقيبة أن تمارس الولايات المتحدة وبريطانيا ضغوط " ودية " على فرنسا لحملها على منح الاستقلال للجزائر ، إلا أن المبعوث الأمريكي تملص من الإجابة على هذا الطلب ، مبيناً أن الولايات المتحدة مهتمة في المقام الأول باحتواء المد الشيوعي ⁴² . ولم تأخذ القضية الجزائرية أهميتها في الفضاء السياسي الأمريكي إلا مع

السيناتور " جون كينيدي " (1953-1960) الذي أعتبر تطور الحركات الوطنية الأفريقية خلال السنوات الأخيرة قد جعل من القضية الجزائرية قضية دولية تهم الولايات المتحدة بعد أن كان السياسيون في فرنسا والولايات المتحدة يعتبرونها قضية داخلية فرنسية ، وخلص " كينيدي " في تقريره الذي قدمه يوم 2 جويلية 1957 بمجلس الشيوخ الأمريكي باعتباره رئيس لجنة العلاقات الخارجية إلى تقديم لائحة للمجلس تطالب من رئيس الولايات المتحدة ووزير الخارجية ببذل مجهودات للوصول إلى حل يقوم على أساس الاعتراف بالشخصية المستقلة للجزائر وإقامة علاقات بين فرنسا وشمال إفريقيا ، سواء عن طريق الحلف الأطلسي أو عن طريق تونس والمغرب⁴³. غير أن الإدارة الأمريكية بقيادة " ايزنهاور " بقيت على موقفها المؤيد للحرب الاستعمارية الفرنسية في الجزائر ولم يتزعزع موقفها إلا عند العدوان الفرنسي على الأراضي التونسية في 8 فبراير 1958 ، عندما وجه الرئيس " ايزنهاور " رسالة إلى " فليكس غايار " رئيس الحكومة الفرنسية داعيا إياه إلى التفاهم مع عرب المنطقة ووضع حد لعملية دفع الجزائريين في اتجاه المواقف الراديكالية وفتح الباب أن التدخل السوفياتي في المنطقة⁴⁴. وأمام موقف بعض الفرنسيين الذين اعتبروا هذه الرسالة تدخل في الشؤون الفرنسية ردت صحيفة " نيوز اندبيورث " الأمريكية بقولها : " إن حرب الجزائر أصبحت تثير شمال إفريقيا كله ضد الغرب و أننا نخشى أن يؤدي استمرار الحرب أن يخسر الغرب أصدقاءه في شمال إفريقيا " ⁴⁵. وبذلك ظهر منحى جديد في مراكز القرار الأمريكي نتيجة الخوف من التدويل بفتح القضية الجزائرية أمام الاتحاد السوفياتي ، ومساعي الحبيب بورقيبة لدى المسؤولين الأمريكيين الذي حذر من خطورة الموقف ، حيث قررت الولايات المتحدة أن تعدل من سياسة عدم التدخل وأن تبذل جهدها ولو رفضت فرنسا ، وطرحت فكرة الحلف المتوسطي ولكن المساعي الأمريكية اصطدمت بحملة فرنسية شعواء ومقاومة عنيفة في دورة البرلمان

الفرنسي في 13 و 14 أفريل 1958⁴⁶، واستمر الموقف الأمريكي مؤيدا لفرنسا في حربها الاستعمارية بالجزائر حتى نهاية عهد الرئيس " ايزنهاور " وهو ما عبرت عنه قيادة الثورة من خلال مقال لها بجريدة المجاهد في أكتوبر 1960 ، جاء فيه : " أن أمريكا هي التي كانت تشجع فرنسا على مواصلة الحرب في الجزائر بدعوى الدفاع عن العالم الغربي ، ولولا تأييدها لكانت الحرب الاستعمارية الفرنسية قد انتهت في الجزائر منذ زمن بعيد " ⁴⁷. وإثر فوز " كينيدي " في انتخابات الرئاسة الأمريكية التي جرت في 8 نوفمبر 1960، و أمام موقفه المتقدم من القضية الجزائرية أرسل رئيس الحكومة المؤقتة فرحات عباس بتهنئة للرئيس " كينيدي "، متمنيا فيها أن تتحول تصريحاته حول إزالة الاستعمار في إفريقيا وتحرير الجزائر إلى سياسة للولايات المتحدة ⁴⁸.

5-5 وساطته لحل القضية الجزائرية في إطار مجموعة شمال إفريقيا

عرفت سنة 1957 مبادرتين لرعيي المغرب العربي من خلال إقحام الأمم المتحدة في حل القضية الجزائرية ، فكانت الأولى مع بداية السنة عبر طرح فكرة إجراء انتخابات في الجزائر تحت إشراف الأمم المتحدة ، على أن تتم دعوة طرفي النزاع إلى وقف إطلاق النار لإجراء هذه الانتخابات . وذلك ردا على إعلان " قي مولي " عن إجراء انتخابات في الجزائر تؤسس لهيئة يمكن التفاوض معها . ثم وضع بورقيبة شروط ومقترحات هذا المسعى وعلى رأسها عقد مؤتمر في تونس يحضره ممثلون عن الدول العربية و دول البحر الأبيض المتوسط لدراسة ضمانات إجراء الانتخابات والإشراف على تنفيذها من قبل فرنسا. و بعد مشاورات مع الطرف المصري لأهميته في الساحة الجيوسياسية في شمال إفريقيا خلال هذه الفترة (العدوان الثلاثي 1956) وعلاقة مصر بالثورة الجزائرية ، سجل فتحي الذيب تعليقا على هذه المبادرة بأن هدف الحبيب بورقيبة هو السعي إلى إيقاف القتال بأية صورة، بينما كان موقف قادة الثورة هو الإصرار على شروطهم قبل وقف إطلاق النار وأساسها الاعتراف بالاستقلال

وإطلاق سراح المعتقلين⁴⁹. غير أن عدم استجابة الطرف الفرنسي أدى إلى فشل هذا المسعى. وعندها جاءت المبادرة الثانية الأكثر أهمية، حيث تقدمت تونس في 7 أكتوبر 1957 باقتراح يتضمن عقد ندوة تجمع بين جبهة التحرير الوطني وفرنسا وتونس والمغرب قبل مناقشة القضية الجزائرية من طرف الجمعية العامة للأمم المتحدة، أطلق على هذه الدول اسم مجموعة شمال إفريقيا (تعود فكرة النضال الشمال إفريقي إلى سنة 1926 عند تأسيس نجم شمال إفريقيا)، وعندها اجتمعت لجنة التنسيق والتنفيذ بين 25 و 29 أكتوبر 1957 في تونس، واتفق أعضاؤها على أن يكون الاستقلال شرطا أساسيا⁵⁰. وعلى إثرها سافر بورقيبة إلى المغرب الأقصى للقاء الملك محمد الخامس وعرض عليه أمر الوساطة، و وافق الملك على ذلك؛ حيث جاء في البلاغ المشترك: "اجتمع الملك محمد الخامس والرئيس الحبيب بورقيبة بالرباط يوم 20 و 21 نوفمبر 1957 و درسا القضية الجزائرية و أنهما يعرضان وساطتهما على فرنسا وقادة جبهة التحرير الوطني الجزائرية ويدعوهم إلى المفاوضات"⁵¹. وردت جبهة التحرير بالإيجاب على مبدأ الوساطة موضحة في بيان لها تمسكها بمبدأ الاستقلال⁵². ولكسب تأييد الرأي العام الفرنسي لخطته أجرى بورقيبة حديثا مطولا مع جريدة "الاكسبراس" الباريسية حول القضية الجزائرية حيث رأى أن أحسن حل لتسويتها هو اقتراح إنشاء مجموعة شمال إفريقيا تضم تونس والجزائر والمغرب. غير أن جهد الوساطة التي حاولت الحكومة التونسية القيام به رفضته فرنسا بحجة أن تونس و المغرب غير محايدتين⁵³. ورغم ذلك صادقت الجمعية العامة للأمم المتحدة في ديسمبر 1957 على توصية بتسجيل الوساطة المغربية والدعوة إلى حل سلمي وديمقراطي وعادل للمشكل الجزائري، وتحت ضغط الرئيس الأمريكي "ايزنهاور"، تقدمت حكومة "فليكس قايار" من خلال ممثلها " جورج بيكو " (Georges Pecot) بمشروع سمته " الحوار الفرنسي - شمال إفريقي " يندد بالتدخلات الأجنبية بما فيها الوساطة

التونسية - المغربية ويقترح " القانون الإطار" - استقلال ذاتي في إطار بقاء الجزائر فرنسية - كحل للقضية الجزائرية مع إبداء استعداد الحكومة الفرنسية لإجراء مفاوضات ووقف إطلاق النار⁵⁴. و بذلك عادت فرنسا إلى اعتماد سياسة المناورات لإفشال أي مبادرة لحل القضية الجزائرية من قبل الزعماء المغاربة.

5-6 إسهاماته في مؤتمر طنجة 1958م لأجل وحدة المغرب العربي

على إثر الرفض الفرنسي لمبادرة تونس والمغرب لحل القضية الجزائرية في إطار مجموعة شمال إفريقيا ، واقتراح الحكومة الفرنسية للقانون الإطار الذي يبقى على الجزائر فرنسية ، تطلع قادة المغرب العربي إلى الوحدة باعتبارها السبيل الذي يسهل توفير عوامل استقلال الجزائر ويخلص المنطقة من القيود الاستعمارية ، فكانت فكرة مؤتمر طنجة الذي وضع إطار وحدة المغرب العربي هذه الوحدة التي كان الحبيب بورقيبة أول الحاملين للوائها⁵⁵. حيث أدلى الرئيس بورقيبة بتصريح لصحيفة "العلم" المغربية في 10 ديسمبر 1957 ، جاء فيه: " وحدة شمال إفريقيا أمنية تخالده أفكارنا لأنها تكونت في التاريخ...لذا اعتقد أن عملنا مع بعض- تونس والمغرب وليبيا- لتوفير أسباب تحرير الجزائر يسهل في نفس الوقت تحقيق الوحدة"⁵⁶. وفي ظل القبضة العسكرية لقادة الجيش الفرنسي في الجزائر وعملياتهم العسكرية المتهورة فيما وراء الحدود ومنها قصف ساقية سيدي يوسف يوم 8 فيفري 1958 ، عبرت جبهة التحرير الوطني في بلاغ لها باسم الشعب الجزائري للرئيس الحبيب بورقيبة عن ألمها وتضامنها الفعال مع تونس في حزنها الوطني الذي تسبب فيه عدو مشترك هو الاستعمار و مؤكدة أن هذه الضربة هي لمعاقبة بورقيبة الذي بلغت به الجرأة إلى أن يحصل على موافقة هيئة الأمم المتحدة على وساطته⁵⁷ ، و عبرت كذلك لجنة التنسيق من القاهرة في بيان لها في شهر مارس 1958، عن تأكيد جبهة التحرير الوطني عن عزمها على توحيد مصير الأقطار الإفريقية الثلاث وخوض

المعركة إلى جانب القطرين الشقيقين لتحقيق جلاء القوات الفرنسية الذي هو شرط أساسي للاستقلال الحقيقي والسيادة الكاملة⁵⁸.

وأمام هذا التحدي الجديد وروح المغامرة التي صار يبدىها جيش الاحتلال في ضرب أي هدف على كامل أرض المغرب العربي، و تهديده لسيادة واستقلال تونس والمغرب، كان لابد من الانتقال إلى العمل الميداني لعقد مؤتمر المغرب العربي حيث تمت محادثات بين قيادات حزب الاستقلال المغربي والحزب الحر الدستوري التونسي من 19 إلى 22 مارس 1958 بتونس تقرر على إثرها عقد مؤتمر في طنجة يوم 27 أبريل 1958، لوضع أسس وحدة المغرب العربي. و في التاريخ المحدد انطلقت أعمال المؤتمر و تضمن جدول أعماله أربع نقاط هي: حرب الاستقلال الدائرة بالجزائر، وتصفية وجود قوات الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي، ووحدة المغرب العربي، و المرحلة الانتقالية لهذه الوحدة⁵⁹. و خرج المؤتمر بقرارات أبرزها: حق الشعب الجزائري في السيادة والاستقلال وأن تقدم الأحزاب السياسية (التونسية والمغربية) له كامل مساندة شعوبها وتأييد حكوماتها، كما تم التأكيد على أن جبهة التحرير الوطني هي الممثل الوحيد والشرعي للشعب الجزائري⁶⁰، وأوصى المؤتمر بتكوين حكومة جزائرية بعد استشارة حكومتي المغرب وتونس، كما اقترح في إطار بعث الفدرالية، إنشاء مجلس استشاري للمغرب العربي وكتابة دائمة تسهر على تنفيذ مقرراته، وأوصى بضرورة الاتصالات الدورية للتشاور حول قضايا المغرب العربي⁶¹. كما وجه مؤتمر طنجة برقيات لرؤساء وملوك الدول المشاركة ومنها برقية إلى الرئيس الحبيب بورقيبة يبلغه من خلالها بالقرارات الصادرة عن المؤتمر وعلى رأسها أسس الاتحاد الفيدرالي، ومساندة استقلال الجزائر⁶². وأما عن أهم الآراء الصادرة حول أهداف انعقاد هذا المؤتمر، فهو موقف محمد حربي الذي كان يرى أن الهدف الحقيقي لمؤتمر طنجة هو إعطاء ضمانات من قبل تونس

والمغرب لمحاوريهما في المعسكر الغربي بأن المقاومة الجزائرية لن تذهب في اتجاه المعسكر الشرقي⁶³.

ثم عقد مؤتمر المهدية من 17 إلى 20 جوان 1958 لتنفيذ توصيات مؤتمر طنجة ، وجمع كل من الحكومتين التونسية والمغربية ولجنة التنسيق والتنفيذ الجزائرية ، وتضمن جدول أعماله: تطبيق قرارات مؤتمر طنجة – مساعدة الجزائر – جلاء قوات الاحتلال وإدانة سياسة الجنرال ديغول – الموقف المشترك أمام الأمم المتحدة – دعم إنشاء الحكومة المؤقتة الجزائرية . وخلال جلسات المؤتمر سجل تهرب من اتخاذ مواقف واضحة سواء فيما يتعلق بمسألة المساعدات، حيث اقتصر الحديث عن مساعدة اللاجئين بدل المساعدة الواجب تقديمها للثورة الجزائرية من مال وسلاح ، وأما الموقف من سياسة ديغول فقد طالب الوفد الجزائري بإدانة سياسته ومساندة الاستقلال التام بينما كان موقف تونس والمغرب هو جر الثورة إلى المفاوضات وطرح وساطة البلدين⁶⁴. فكان مؤتمر المهدية بداية للانحراف على الخط الذي رسمه مؤتمر طنجة ، من خلال تحويل مقرراته من نطاق الأحزاب إلى إطار الحكومات للحيلولة دون أن تكون مقررات طنجة ذريعة لانطلاق حركة شعبية على مستوى المغرب العربي المتحد حول أهداف واضحة⁶⁵. ومنذ هذا التاريخ تبدأ تظهر بعض المواقف السلبية للرئيس الحبيب بورقيبة من خلال القبول ببعض الإجراءات والمصالح الاقتصادية على حساب الكفاح الثوري لجهة التحرير الوطني ، ورغم ذلك سيواصل الجزائريون سعيهم للاستفادة من الدعم الشعبي أو الرسمي بما في ذلك مساعي بورقيبة المستمرة لحل القضية الجزائرية سواء عبر المفاوضات المباشرة مع الجنرال ديغول ، أو من خلال مساعيه مع الأمين العام لهيئة الأمم المتحدة⁶⁶.

7-5 مساعي الحبيب بورقيبة اثر تسلم الجنرال ديغول للحكم في فرنسا 1958-1962 م

أدت سياسة الإغراءات التي توجه بها الجنرال " ديغول " بعد تسلمه الحكم في فرنسا نحو تونس و قبول الحبيب بورقيبة لهذه الإغراءات السياسية والعروض الاقتصادية ، وعلى رأسها اتفاق 17 جوان 1958 القاضي بجلاء القوات الفرنسية من الأراضي التونسية باستثناء بنزرت مع كراء القاعدة ، و اتفاقية 30 جوان 1958 لتمرير أنبوب البترول " إيجلي " عبر الأراضي التونسية نحو ميناء قابس و ما يجلبه لتونس من عائدات مالية ، إلى ظهور توجه جديد لدى الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة يقوم على خدمة مصالح بلاده القطرية بعيدا عن التضامن المغربي الذي أقره مؤتمر طنجة ، وهو ما أدى إلى تأزم العلاقة بينه وبين جبهة التحرير الوطني وجيش التحرير⁶⁷ ، غير أن مبادرة قيادة الجبهة لاحتواء الخلاف وإفشال مخططات الجنرال ديغول ، مكنت من عقد اتفاق في شهر أوت 1958 م يقضي بتأجيل تشغيل الأنبوب إلى ما بعد الاستقلال، مما أعاد العلاقة إلى سابق عهدها وبخاصة الدعم التونسي للقضية الجزائرية⁶⁸ وتجددت المبادرات السياسية للرئيس الحبيب بورقيبة ، حيث صرح في بيان وجهه إلى الشعب التونسي يوم 30 أكتوبر 1958: " نأمل أن يتغلب الرأي السليم والتفكير الواقعي على ساسة فرنسا وقادة النضال الجزائري حتى لا تتسع الشقة بينهما. ونحن مستعدون في تونس والمغرب لتقريب وجهات النظر بين المتخالفين . وفي الإمكان أن نعقد اجتماعا يضم إلى جانب مندوبي تونس والمغرب الأقصى مندوبين عن الطرفين المتنازعين للنظر في الأسباب التي تعرقل فض المشكلة وتذليل الصعوبات القائمة في سبيل إقرار السلم والصداقة والمستقبل الزاهر الذي ينتظرنا " ⁶⁹.

وبعد أن جرب الجنرال ديغول المناورات السياسية والاقتصادية والأساليب القمعية للقضاء على الثورة في الجزائر والصمود التاريخي للثورة الجزائرية ،

أعلن الجنرال ديغول في ندوة صحفية يوم 16 سبتمبر 1959 اعترافه بحق الشعب الجزائري في تقرير المصير . وعندها أعرب بورقيبة عن استعدادة لمساعدة الطرفين المتنازعين على إنهاء الحرب وخطب يوم غرة أكتوبر قائلاً⁷⁰ : "...إننا على استعداد تام لإعانة الطرفين على تقريب شقة الخلاف بما في استطاعتنا من جهد سواء بواسطة الاتصال بالطرفين أو بإعطاء ضمانات من ناحيتنا أو بالإشراف على عمل معين خصوصاً وقد رضينا بالتنازل عن جانب من استقلالنا مقابل إنهاء الحرب التي تكمن في استمرارها أخطار لا يستطيع المرء أن يضبط مداها تهدد سلامتنا وسلامة الشمال الإفريقي بأجمعه والعالم الحر". وخلال ندوة صحفية عقدها مساء يوم الخميس 13 نوفمبر 1959 علق الحبيب بورقيبة من جديد على التصريحات الأخيرة للجنرال ديغول حول القضية الجزائرية مؤكداً على موقفه الذي اتخذته في الفاتح أكتوبر ، معتقداً أن العديد من العوامل قد اجتمعت لإحلال السلم في أقرب وقت حيث صرح قائلاً⁷¹ : "أعتقد أن الجنرال ديغول قد صرح بأقصى ما يمكن التصريح به ... وأن الجزائريين أيضاً قد قاموا بأقصى التنازلات التي يمكن القيام بها ، بقبولهم الخضوع لقرار الشعب الجزائري (القبول بالاستفتاء)". ثم شجع مسؤولي جبهة التحرير الوطني على الذهاب إلى باريس و مناقشة شروط وقف إطلاق النار ، وإذا تبين لهم رفض فرنسا مناقشة هذه الشروط عليهم الانسحاب والإعلان أن فرنسا لا تريد تطبيق تقري المصير⁷² . وأعرب يوم 20 جوان 1960 عن استبشاره بدعوة الجنرال ديغول للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية إلى التفاهم من أجل وضع حد للحرب واعتبرها نصراً لا هزيمة لفرنسا وللجيش الفرنسي وابتهج لقرب ساعة السلم التي قضى خمس سنوات ساعياً في تقريبها⁷³ . وظل بورقيبة يدعو الطرفين إلى الحوار والتفاوض إلى أن انتهت المفاوضات الرسمية بتجاوز نقاط الخلاف و التوقيع على اتفاقيات إيبيان وإعلان وقف إطلاق النار في 19 مارس 1962م.

الخاتمة

وفي ختام هذه الدراسة التي حاولت من خلالها إبراز الدور السياسي و الدبلوماسي للحبيب بورقيبة في مساندة الكفاح التحريري التي خاضه الشعب الجزائري ، خلصت إلى جملة النتائج الآتية :

- كرس الحبيب بورقيبة حياته للنضال والكفاح السياسي السلمي ضد الوجود الاستعماري الفرنسي في تونس، وترك بصمته المتفردة في مسار النضال التحريري عن طريق المفاوضات عبر مراحل فيما عرف بسياسة " خذ وطالب " التي مكنت تونس في النهاية من تحقيق استقلالها التام ، برغم تبنيه للمطالب القطرية على حساب النضال والكفاح المغربي المشترك.

- إن موقف الحبيب بورقيبة المدين للنظام الاستعماري ، كان يدفعه إلى مواصلة النضال ضد هذا الوجود الاستعماري الفرنسي في شمال إفريقيا ، خاصة وأن القوات الفرنسية تستمر في التواجد بتونس – قاعدة بنزرت- والاحتلال الفرنسي للجزائر لا يزال قائما، وهو ما يجعل استقلال تونس مهدد بالخطر في أي لحظة.

- كان الحبيب بورقيبة يعتقد أن استقلال الجزائر لا يمكن أن يتم بالعمل العسكري المحض فقط ، بل لابد أن يدعمه عمل سياسي ودبلوماسي للتعريف بعدالة القضية الجزائرية وحق الشعب الجزائري في التحرر والاستقلال .

- سعى الحبيب بورقيبة إلى تخليص الجزائر من قيود الاستعمار الفرنسي ، وذلك بدفع السلطات الفرنسية وممثلي جبهة التحرير الوطني للتفاوض على حل المشكلة الجزائرية بالطرق السلمية ، داعيا إلى الاقتداء بالنموذج التونسي في تحقيق استقلال الجزائر عبر اعتماد سياسة المراحل . وفي سبيل ذلك قام بورقيبة بزيارة القادة الفرنسيين وعرض وساطته على السلطات الفرنسية منذ سنة 1956 ، وكثف من تصريحاته لتهيئة الرأي العام الفرنسي لقبول استقلال الجزائر. غير أنه واجه التعنت والتصلب الفرنسي والذي امتد إلى التأمر ضد

محاولاته، وهو ما كان عليه الحال في حادثة اختطاف طائرة زعماء الثورة يوم 22 أكتوبر 1956 ، وهم في طريقهم إلى ندوة تونس .

- بعد أن تأكد الحبيب بورقيبة من تعنت الطبقة السياسية الفرنسية وخضوعها لقبضة قادة الجيش الفرنسي في الجزائر ومن ورائهم الفئة الكولونيالية المتعصبة لبقاء الجزائر فرنسية ، وجه جهوده السياسية والدبلوماسية نحو الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا والأمم المتحدة مما جعل القضية الجزائرية تحتل مكانة متقدمة في المحافل الدولية وعلى رأسها الجمعية العامة للأمم المتحدة ، و في أول حضور تونسي بعد الاستقلال في الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها (11) عام 1956م اقترح الحبيب بورقيبة من على منبر الجمعية العامة تمكين الشعب الجزائري من حقه في الاستقلال على مراحل وفق خطة عملية تبدأ بوقف القتال، ثم إجراء مفاوضات بإشراف لجنة وساطة بين طرفي النزاع ، وبعد الاتفاق يعلن وقف إطلاق النار بضمنان من الأمم المتحدة .

- بعد أن تعززت العلاقات التونسية -الأمريكية إثر المساعدات التي قدمتها الولايات المتحدة الأمريكية لتونس عشية استقلالها عام 1956م ، وسعي الرئيس بورقيبة للاستفادة من مشروع " ايزنهاور " عام 1957م، استغل الحبيب بورقيبة تلك اللقاءات التي جمعته بالمسؤولين الأمريكيين ، وعلى رأسها الرئيس " ايزنهاور " ، وحاول أن يدفع بالولايات المتحدة الأمريكية للمساهمة في حل القضية الجزائرية عبر الضغط على فرنسا للإسراع في إيجاد حل تفاوضي يقوم على الاعتراف بحق الشعب الجزائري في الاستقلال ، لكن السلطات الأمريكية لم يكن يهمها إلا كيفية استخدام تونس كوسيط لإنهاء الحرب في الجزائر التي كانت تستنزف إمكانيات الاقتصاد الفرنسي ومن ورائه الحلف الأطلسي عبر الضغط على الثوار ، كما أنها كانت من داعمي الحرب الاستعمارية الفرنسية في الجزائر للقضاء على الثورة بدعوى الدفاع عن العالم الغربي ،

برغم ظهور آراء مؤيدة لاستقلال الجزائر في أوساط الطبقة السياسية الأمريكية وعلى رأسها موقف السيناتور "جون كيندي".

- على الرغم من اختلاف وجهات النظر حول أساليب وطرق حل القضية الجزائرية بين قيادة الثورة التي كانت تصر على الاستقلال التام ، والرئيس بورقيبة الذي كان يؤمن بالمرحلية والتدرج و استغلال الظروف الإقليمية والدولية ، إلا أنها بقيت تستجيب لتلك المبادرات السياسية والدبلوماسية التي كان يقوم بها الزعيم التونسي الحبيب بورقيبة . سواء في إطار مجموعة شمال إفريقيا أو في إطار وحدة المغرب العربي من خلال مؤتمر طنجة ، كما حققت قيادة الثورة العديد من المكاسب من وراء هذه المبادرات ، وعلى رأسها الاعتراف بحق الشعب الجزائري في الاستقلال و تدويل القضية الجزائرية في منبر الأمم المتحدة ، والاعتراف بجهة التحرير كممثل وحيد وشرعي للشعب الجزائري ، والمشاركة في الندوات والمؤتمرات المغاربية والأفرو-آسيوية .

- بعد وصول الجنرال ديغول إلى الحكم في فرنسا و تبنية لسياسة الإغراءات السياسية والاقتصادية نحو تونس لإبعادها عن التضامن مع الثورة الجزائرية ، مال الحبيب بورقيبة إلى خيار خدمة مصالح بلاده القطرية بعيدا عن التضامن المغاربي الذي أقره مؤتمر طنجة عام 1958، وهو ما أدى إلى تأزم العلاقة بينه وبين جهة التحرير الوطني وجيش التحرير ، غير أن العلاقات مع جهة التحرير سرعان ما عادت إلى وضعها الطبيعي ، وعاد بورقيبة إلى التشجيع على التفاوض مع السلطات الفرنسية الجديدة ، ودعا ممثلي جهة التحرير إلى عدم تضييع الفرصة بعد أن أعلن الجنرال ديغول عن حق الشعب الجزائري في تقرير المصير في 16 سبتمبر 1959 ، كما اعتبر أن فرصة إحلال السلم قد اقتربت بعد قبول قيادة الثورة لمبدأ تقرير المصير.

- ¹ أحمد إسماعيل راشد: تاريخ أقطار المغرب العربي السياسي الحديث والمعاصر ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 2004، ص 104
- ² سعيد جلاوي : النظام البورقوبي وقضايا المغرب العربي 1956-1987 م ، دكتوراه في التاريخ ، جامعة الجزائر 2، 2015-2016، ص ص 24-25
- ³ أحمد إسماعيل راشد: المرجع السابق ، ص 104
- ⁴ الصافي السعيد : الصافي السعيد: بورقيبة ، سيرة شبه محرمة ، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، 2000، ص 94
- ⁵ أحمد القصاب: تاريخ تونس المعاصر 1881-1956، تعريب حمادي الساحلي ، ط1، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1986، ص ص 551-568
- ⁶ المرجع نفسه ، ص ص 592-597
- ⁷ معمر العايب : مؤتمر طنجة المغربي – دراسة تحليلية تقييمية ، دار الحكمة ، الجزائر ، 2010، ص 61
- ⁸ سعيد جلاوي ، المرجع السابق ، ص 68
- ⁹ عز الدين معزة : فرحات عباس والحبيب بورقيبة دراسة تاريخية وفكرية مقارنة 1899-2000، دكتوراه في التاريخ ، جامعة قسنطينة ، 2009-2010، ص 98
- ¹⁰ عبد اللطيف الحناشي: رؤية بورقيبة للعلاقات الدولية 1956-1970 ، أعمال المؤتمر الثالث حول : السلطة وآليات الحكم في عصر بورقيبة بتونس والبلاد العربية ، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس 2003، ص 72
- ¹¹ المرجع نفسه : الصفحة نفسها
- ¹² حبيب حسن اللولب: التونسيون والثورة الجزائرية ، ج 1 ، ط 1 ، دار السبيل للنشر والتوزيع ، الجزائر 2009، ص 381
- ¹³ كتابة الدولة للأخبار والإرشاد : الحبيب بورقيبة ، حياته ، جهاده ، تونس ، 1966، ص 274
- ¹⁴ المرجع نفسه ، ص 275
- ¹⁵ حبيب حسن اللولب : المرجع السابق، ص 373
- ¹⁶ جريدة الصباح (التونسية) عدد 1340 ليوم 2 ماي 1956
- ¹⁷ جريدة الصباح (التونسية) عدد 1340 ليوم 2 ماي 1956
- ¹⁸ رياض بودلاعة : القيم الديمقراطية في الثورة التحريرية الجزائرية 1954-1962، ماجستير في التاريخ ، جامعة منتوري قسنطينة ، السنة الجامعية 2005-2006 ، ص 96 و ص 127
- ¹⁹ من أبرز مواطن الخلاف بين بورقيبة وصالح بن يوسف الموقف من الثورة الجزائرية ، فقد كان بورقيبة يعتبر أن الحكم الذاتي في تونس سوف يتحول إلى استقلال تام بواسطة سياسة خذ وطالب ، وهو ما سيكون أكثر نفعا للثورة الجزائرية بدل التجند إلى جانبها في مواجهة الجيش الفرنسي. أما صالح بن يوسف فقد كان يعتبر قبول الحكم الذاتي "خيانة للثورة الجزائرية " . ينظر نجيب دكاني : الصراع اليوسفي البورقوبي وعلاقته بالثورة الجزائرية خلفيات موقف " صالح بن يوسف " والحبيب بورقيبة " من الثورة الجزائرية ، المصادر ، المجلد 16 ، عدد 29 ، 2017، ص ص 354-355
- ²⁰ عبد الله مقلاتي : العلاقات الجزائرية المغربية إبان الثورة التحريرية الجزائرية 1954-1962، دكتوراه في التاريخ ، جامعة قسنطينة 2007-2008 ، ص 157
- ²¹ عميرة علية الصغير : اليوسفيون وتحرر المغرب العربي ، ط2 ، المغاربة للطباعة والنشر والإشهار، تونس ، 2011، ص 237
- ²² المرجع نفسه ، ص 238
- ²³ عبد الله مقلاتي : المرجع السابق ، ص 160
- ²⁴ المرجع نفسه ، ص ص 160-161
- ²⁵ مما يسجل حول العلاقة بين الحكومة المؤقتة والرئيس التونسي الحبيب بورقيبة هو أن هذا الأخير قد وقف إلى جانبها في القضاء على محاولة التمرد التي قام بها قادة الولاية الأولى (العقيد عبد الله نواورة ، والرائد محمد عواشرية ، والعقيد

- العموري) حيث أجهضت المحاولة الانقلابية وألقي القبض على قادتها من قبل الحرس التونسي بأمر من الرئيس بورقيبة الذي كان لا يرغب في وقوع أي مواجهة بين الجزائريين على الأرض التونسية. ينظر:
- Mohammed Harbi: une vie debout, mémoires politiques, tome 1:1945-1962, Découvert, 2001, p 273
- ²⁶ حبيب حسن اللولب: المرجع السابق، ص 393-397
- ²⁷ عبد الله مقلاتي: مؤتمر تونس المغاربي واختطاف زعماء الثورة الجزائرية 23 أكتوبر 1956، المصادر، المجلد 9، عدد 16، 29/11/2017، ص 181
- ²⁸ المرجع نفسه، ص 186-190
- ²⁹ محمد شطبي: العلاقات الجزائرية التونسية إبان الثورة التحريرية 1954-1962، ماجستير في التاريخ، جامعة منتوري قسنطينة، 2008-2009، ص 94
- ³⁰ بن عتو بلبروات: تداعيات اختطاف طائفة زعماء الثورة الجزائرية بالخارج (أكتوبر 1956م) مجلة عصور الجديدة، العدد 11-12، 2013-2014، ص 356
- ³¹ عبد الله مقلاتي: مؤتمر تونس المغاربي واختطاف زعماء الثورة الجزائرية 23 أكتوبر 1956، المرجع السابق، ص 195
- ³² Alistair Horne: histoire de la guerre d'Algérie, éditions dahlab, 2007, p 166
- ³³ Ibid., p 166
- ³⁴ عميرة عليّة الصغير: المرجع السابق، ص 238
- ³⁵ Dougui Noureddine: la crise de bizerte: le choc de deux stratégies complexes, actes du colloque: les relations Tuniso-Françaises au miroir des élites (19-20 siècles), organisé à la faculté des lettres — Manouba, les 2 et 3 décembre 1994, publications de la faculté des lettres —Manouba, tunis, 1997, p 212
- ³⁶ سعيد جلاوي: المرجع السابق، ص 199
- ³⁷ المرجع نفسه، ص 201
- ³⁸ جريدة المقاومة الجزائرية، ط 2، العدد 3، 3 ديسمبر 1956
- ³⁹ سعيد جلاوي: المرجع السابق، ص 203
- ⁴⁰ مذكرات ابن زهاور: ترجمة، هيوبرت يونغمان، ط 1، 1969، ص 66-67
- ⁴¹ سعد زغلول فؤاد: عشت مع ثوار الجزائر، دار العلم للملايين، بيروت، 1960، ص 173
- ⁴² ناظم رشم معتوق الأمانة: تونس والولايات المتحدة الأمريكية (1956-1958) دراسة في العلاقات السياسية، دورية كان التاريخية، المجلد 4، العدد 14، ديسمبر 2011، ص 19 و
- Journal of Education for pure Science, Thi-Qar University, 2011, volume1, Issue 4, p p 92-100, sur <https://www.iasj.net/iasj/article/19524>, consulte le 28/05/2021
- ⁴³ المجاهد عدد 82 ليوم 14/11/1960
- ⁴⁴ محمد الميلي: مواقف جزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط 1، الجزائر، 1984، ص 60
- ⁴⁵ المرجع نفسه، ص 60
- ⁴⁶ المرجع نفسه، ص 61-62
- ⁴⁷ المجاهد عدد 80 ليوم 17/10/1960
- ⁴⁸ المجاهد عدد 82 ليوم 14/11/1960
- ⁴⁹ فتحي الديب: عبد الناصر وثورة الجزائر، دار المستقبل العربي، ط 2، القاهرة 1990، ص 297-302
- ⁵⁰ فرج قطوطة: الدعم التونسي للثورة الجزائرية وردود الفعل الفرنسية 1956-1962، مذكرة ماجستير، جامعة قالم، 2013-2014، ص 100
- ⁵¹ حبيب حسن اللولب: المرجع السابق، ص 416

- ⁵² محمد شطبي: المرجع السابق ، ص 96
- ⁵³ حبيب حسن اللولب : المرجع السابق ، ص 419
- ⁵⁴ الغالي غربي : فرنسا والثورة الجزائرية 1954-1962 ، غرناطة للنشر والتوزيع ، الجزائر 2009 ، ص 491
- ⁵⁵ المجاهد عدد 44 ليوم 14/06/1959
- ⁵⁶ المجاهد عدد 20 ليوم 15/03/1958
- ⁵⁷ المجاهد عدد 19 ليوم 101/03/1958
- ⁵⁸ جريدة العمل (التونسية) عدد 745 ليوم 16 مارس 1958
- ⁵⁹ حبيب حسن اللولب : المرجع السابق ، ص ص 424-425
- ⁶⁰ بشير سعدوني : الثورة الجزائرية في الخطاب العربي الرسمي ، ج 2 ، دار مدني ، الجزائر ، 2013 ، ص 96
- ⁶¹ فرج قوطوطة : المرجع السابق ، ص ص 192-193
- ⁶² المجاهد عدد 23 ليوم 7 / 05 / 1958
- ⁶³ محمد حربي : جبهة التحرير الوطني ، الأسطورة والواقع ، ترجمة كميل قيصر داغر ، مؤسسة الأبحاث العربية ودار الكلمة للنشر ، بيروت ، 1983 ، ص 177
- ⁶⁴ أحمد مسعود سيد علي : أزمت الثورة الجزائرية مع الحكومة التونسية 1959-1962 ، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية ، المجلد 6 ، عدد 2 ، ص ص 270-271
- ⁶⁵ عبد الكريم بوصفصاف وآخرون : القيم الفكرية والإنسانية في الثورة التحريرية الجزائرية ، ج 1 ، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، 2003 ، ص ص 287-288
- ⁶⁶ أحمد مسعود سيد علي : المرجع السابق ، ص 273
- ⁶⁷ عبد الله مقلاتي : تأزم العلاقات الجزائرية التونسية وأثره على دعم نشاط جبهة التحرير وجيش التحرير الوطني في قاعدة تونس 1958-1959 ، المجلة التاريخية الجزائرية ، المجلد 04 ، العدد 02 ، 2020 ، ص ص 200-201
- ⁶⁸ خامس سامية : أزمة تمرير الأنبوب النفطي "إيجلي" وتطوراتها خلال الحرب التحريرية الجزائرية ، مجلة قضايا تاريخية ، عدد 8 ، 2017 ، ص ص 138-139
- ⁶⁹ كتابة الدولة للأخبار والإرشاد : الحبيب بورقيبة ، حياته ، جهاده ، المرجع السابق ، ص 279
- ⁷⁰ المرجع نفسه ، ص 280
- ⁷¹ LE MONDE, du 14/11/1959, disponible sur : www.lemonde.fr/archives/article/1959/11/14/m-bourguiba-le-general-de-gaulle-a-dit-le-maximum-de-ce-qu-il-pouvait-dire. Consulté le 25/05/2021.
- ⁷² Ibid.
- ⁷³ كتابة الدولة للأخبار والإرشاد : الحبيب بورقيبة ، حياته ، جهاده ، المرجع السابق ، ص ص 281-282